

لشيخ الإسلام
أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي
الفقيه الحنبلي المفسر الصوفي المتوفى سنة ٤٨١

الطبعة الثانية
١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء

﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾

قرآن كريم

خطبة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الأجلّ أبو إسمعيل عبد الله بن محمد الأنصارى الهروى رحمه الله تعالى : الحمد لله الواحد الأحد ، القيوم الصمد ، اللطيف القريب ، المهيمن السميع المجيب ، الذى أمطر سرائر العارفين كرائم الكلم من غمائم الحكم ، وألاح لهم لوائح القدم فى صفائح العدم ، ودلهم على أقرب السبل إلى المنهج الأول ، وردهم من مفرق العلل إلى عين الأزل ، وبث فيهم ذخائره ، وأودعهم سرائره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأول الآخر الظاهر الباطن الذى مد ظل التكوين على الخليقة مدا طويلا ، ثم جعل شمس التمكين لصفوته عليه دليلا ، ثم قبض ظل التفرقة عنهم إليه قبضا يسيرا : وصلواته وسلامه على صفيه الذى أقسم به فى إقامة حقه محمد وآله كثيرا .

أما بعد : فإن جماعة من الراغبين فى الوقوف على منازل السائرين إلى الحق عز اسمه من الفقراء من أهل القراءة والغرباء ، طال على مسألتهم زمانا أن أبين لهم بيانا ، ليكون على معالمها عنوانا ، فأجبتهم لذلك بعد استخارتى الله تعالى واستعانتى به . وسألونى أن أرتبها لهم ترتيبا يشير إلى تواليها ، ويدل على الفروع التى تليها ، وأن أخليه من كلام غيرى ، وأختصره ليكون ألطف فى اللفظ وأخف للحفظ ، وإنى خفت إن أخذت فى شرح قول أبى بكر الكتانى أن بين الحق والعبد ألف مقام من النور والظلمة طوّلت على وعليهم ، فذكرت أبنية تلك المقامات التى تشير إلى تمامها وتدل على مواقعها ، وأرجو لهم بعد صدق قصدهم ،

ما قال أبو عبيد الله البسرى : إن لله عبادا يريهم فى بداياتهم ما فى نهاياتهم ، ثم إنى رتبت لهم فصولا وأبوابا يغنى ذلك الترتيب عن التطويل المؤدى إلى الملال ، ويكون مندوحة عن التسآل ، فجعلته مائة مقام مقسومة على عشرة أقسام . وقد قال الجنيد رحمه الله تعالى : قد ينقل العبد من حال إلى حال أرفع منه ، وقد بقى عليه من التى نقل عنها بقية ، فيشرف عليها من الحالة الثانية فيصلحها ، وعندى أن العبد لايصح له مقام حتى يرتفع عنه ثم يشرف عليه فيصححه .

واعلم أن السائرين فى هذه المقامات على اختلاف عظيم مفظع ، لا يجمعهم ترتيب قاطع ، ولايقفرهم منتهى جامع ، وقد صنف جماعة من المتقدمين والمتأخرين فى هذا الباب تصانيف ، غير أنه لاأراها أو أكثرها على حسنها مغنية كافية . منهم من أشار إلى الأصول ولم يشف بالتفصيل ، ومنهم من جمع الحكايات ولم يلخصها تلخيصا ، ولم يخصص النكتة تخصيصا ، ومنهم من لم يميز بين مقامات الخاصة وضرورات العامة ، ومنهم من عد شطح المغلوب مقاما ، وجعل بوح الواجد ورمز المتمكن سبباً عاما ، وأكثرهم لم ينطق عن الدرجات :

واعلم أن العامة من علماء هـذه الطائفة اتفقوا على أن النهايات لاتصح إلا بتصحيح البدايات ، كما أن الأبنية لاتقوم إلا على الأساسات ، وتصحيح البدايات ، هو إقامة الأمر على مشاهدة الإخلاص ومتابعة السنة ، وتعظيم النهى على مشاهدة الخوف ورعاية الحرمة ، والشفقة على العالم ببذل النصيحة وكف الأذية ، ومجانبة كل صاحب يفسد الوقت وكل سبب يفتن القلب ، على أن الناس فى هذا الشأن ثلاثة نفر : رجل يعمل بين الخوف والرجاء ، شاخصا إلى الحب مع صحبة الحياء ، فهذا هو الذى يسمى المريد . ورجل مختطف من وادى التفريق إلى وادى الجمع ، وهو الذى يقال له المراد ، ومن سواهما مدّع مفتون مخدوع وجميع هذه المقامات يجمعها رتب ثلاث . الرتبة الأولى : أخذ القاصد فى السير : والثانية : دخوله فى الغربة . والرتبة الثالثة : حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد فى طريق الفناء . وقد أخبرنا فى معنى الرتبة الأولى الحسين بن محمد بن على القرائفى : أنا أحمد بن محمد بن حسنويه . أنا الحسين بن إدريس الأنصارى ،

أنا عثمان بن أبى شيبة . حدثنا محمد بن بشر العبدى . حدثنا عمر بن راشد عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سيروا ، سبق المفردون » قيل : يارسول الله وما المفردون ؟ قال : المهترون الذين يهترون فى ذكر الله تعالى ، يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا » وهـذا حديث حسن لم يروه عن يحيى بن أبى كثير إلا عمر ابن راشد اليمانى . وخالفه محمد بن يوسف الفريابى فيه محمد بن بشر العبدى ، فرواه عن عمر بن راشد عن يحيى بن أبى سلمة عن أبى الدرداء موقوفا ، والحديث إنما هو لأبى هريرة رواه بندار بن بشار عن صفوان بن عيسى عن بشر بن رافع اليمانى إمام أهل نجران ومفتيهم عن عبدالله بن عمر عن أبى هريرة مرفوعا وأحسنها طريقة ، وأجودها سندا حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو مخرّج فى صحيح مسلم . وروى هذا الحديث أهل الشام عن أبى أمامة مرفوعاً ، قال فى كلها «سبق المفردون» . وأخبرنا فى معنى الدخول فى الغربة : حمزة بن محمد بن عبد الله الحسينى بطوس ، قال : أنا أبو القاسم عبد الواحد بن أحمد الهاشمى الصوفى ، قال : سمعت أبا عبد الله علان بن زيد الدينورى الصوفى بالبصرة ، قال : سمعت جعفرا الخالدى الصوفى ، قال : سمعت الجنيد ، قال : سمعت السرىّ عن معروف الكرخى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « طلب الحق غربة » هذا حديث غريب ، ما كتبناه غالبا إلا من رواية علان . وأخبرنا فى معنى الحصول على المشاهدة محمد بن على بن الحسين الباساتى : حدثنا محمد بن إسحاق القرشى . حدثنا عثمان بن سعيد الرازى . حدثنا سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن مطر الوراق عن أبى بريدة عن يحيى بن يعمر عن عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فى حديث سؤال جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال: ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وهذا حديث صحيح غريب أخرجه مسلم فى الصحاح » وفى هذا الحديث إشارة جامعة لمذاهب هذه الطائفة ، وإنى مفصل لك درجات كل مقام منها لتعرف درجة العامة منهم ، ثم درجة السالك ، ثم درجة المحقق ، ولكل منهم

شرعة ومنهاج ووجهة هو موليها ، وقد نصب له علم هو إليه مبعوث ، وأتيح له غاية هو إليها محثوث . وأنا أسأل الله تعالى أن يجعلنى فى قصده مصحوبا محجوبا ، وأن يجعل لى سلطانا مبينا ، إنه سميع قريب .

واعلم أن الأقسام العشرة التى ذكرتها فى صدر الكتاب هى قسم البدايات . ثم قسم الأبواب . ثم قسم المعاملات . ثم قسم الأخلاق . ثم قسم الأصول . ثم قسم الأدوية . ثم قسم الأحوال . ثم قسم الولايات . ثم قسم الحقائق . ثم قسم النهايات .
فأما قسم البدايات فهو عشرة أبواب ، وهى : اليقظة . والتوبة . والمحاسبة . والإنابة . والفكر . والذكر . والاعتصام . والفرار . والرياضة . والسماع .

قسم البدايات

باب اليقظة

قال الله تعالى : (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله) القومة لله تعالى هى اليقظة من سنة الغفلة ، والنهوض عن ورطة الفترة ، وهى أول مايستنير قلب العبد بالحياة لرؤية نور التنبيه . واليقظة هى ثلاثة أشياء : لحظ القلب إلى النعمة مع اليأس من عدها ، والوقوف على حدها ، والعلم بالتقصير فى حقها ، والتفرغ إلى معرفة المنة بها . والثانى : مطالعة الجناية والوقوف على الخطر فيها ، والتشمير لتداركها ، والتخلص من رقها ، وطلب النجاة بتمحيصها . والثالث : الانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان من الأيام والتنصل عن تضييعها ، والنظر إلى الضن بها لتدارك فائتها وتعمير باقيها . فأما معرفة النعمة ، فإنها تصفو بثلاثة أشياء : بنور العقل ، وشيم برق المنة ، والاعتبار بأهل البلاء . وأما مطالعة الجناية ، فإنها تصح بثلاثة أشياء : بتعظيم الحق ، ومعرفة النفس ، وتصديق الوعيد . وأما معرفة الزيادة والنقصان من الأيام ، فإنها تستقيم بثلاثة أشياء : بسماع العلم ، وإجابة دواعى الحرمة ، وصحبة الصالحين ، وملاك ذلك كله وجوب خلع العادات .

باب التوبة

قال الله تعالى : (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) فأسقط اسم الظلم عن التائب ، والتوبة لا تصح إلا بعد معرفة الذنب ، وهى أن تنظر فى الذنب إلى ثلاثة أشياء : إلى انخلاعك عن العصمة حين إتيانه ، وفرحك عند الظفر به ، وقعودك الإصرار عن تداركه مع تيقنك بنظر الحق إليك . وشرائط التوبة ثلاثة أشياء : الندم ، والاعتذار ، والإقلاع . وحقائق التوبة ثلاثة أشياء : تعظيم الجناية ، واتهام النفس فى التوبة ، وطلب إعذار الخليقة . وسرائر حقيقة التوبة ثلاثة أشياء : تمييز التقية من العزة ، ونسيان الجناية ، والتوبة من التوبة أبدا ؛ لأن التائب داخل فى الجميع من قوله تعالى : (وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون) فأمر التائب بالتوبة . ولطائف أسرار التوبة ثلاثة أشياء : أولها النظر إلى الجناية والقضية فيعرف مراد الله تعالى فيها إذ خلاه وإتيانها ، فإن الله تعالى إنما يخلى العبد والذنب لأحد معنيين : أحدهما : أن يعرف عزته فى قضائه ، وبره فى ستره ، وحلمه فى إمهال راكبه ، وكرمه فى قبول المعذرة منه ، وفضله فى مغفرته . والثانى : ليقيم على العبد حجة عدله ، فيعاقبه على ذنبه بحجته . واللطيفة الثانية : أن يعلم أن طلب البصير الصادق سيئة لم تبق له حسنة بحال ، لأنه يسير بين مشاهدة المنة وتطلب عيب النفس والعمل . واللطيفة الثالثة : أن مشاهدة العبد الحكم لم تدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة ، لصعوده من جميع المعانى إلى معنى الحكم . فتوبة العامة لاستكثار الطاعة ، فإنه يدعو إلى ثلاثة أشياء : إلى جحود نعمة الستر والإمهال ، ورؤية الحق على الله تعالى ، والاستغناء الذى هو عين الجبروت ، والتوثب على الله تعالى ، وتوبة الأوساط من استقلال المعصية وهو عين الجراءة والمبارزة ، ومحض التزين بالحمية والاسترسال للقطيعة ، وتوبة الخواص من تضييع الوقت ، فإنه يدعو إلى درك النقيصة ، ويطفئ نور المراقبة ، ويكدر عين الصحبة ، ولا يتم مقام التوبة إلا بالانتهاء إلى التوبة مما دون الحق ، ثم رؤية تلك التوبة ، ثم التوبة من رؤية تلك العلة .

باب المحاسبة

قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) وإنما يسلك طريق المحاسبة بعد العزيمة على عقد التوبة. والمحاسبة لها ثلاثة أركان : أحدها ، أن تقيس بين نعمته وجنايتك ، وهذا يشق على من ليس له ثلاثة أشياء : نور الحكمة وسوء الظن بالنفس ، وتمييز النعمة من الفتنة ، والثانى : أن تميز ما للحق عليك مما لك أو منك ، فتعلم أن الجناية عليك حجة ، والطاعة عليك منة ، والحكم عليك حجة ما هو لك معذرة . والثالث : أن تعرف أن كل طاعة رضيتها منك فهى عليك ، وكل معصية عيرت بها أخاك فهى إليك ، فلا تضع ميزان وقتك من يدك :

باب الإنابة

قال الله عز وجل : (وأنيبوا إلى ربكم) الإنابة ثلاثة أشياء : الرجوع إلى الحق إصلاحا كما رجع إليه اعتذارا ، والرجوع إليه وفاء كما رجع إليه عهدا ، والرجوع إليه حالا كما رجع إليه إجابة : وإنما يستقيم الرجوع إليه إصلاحا ، بثلاثة أشياء : بالخروج من التبعات ، والتوجع للعثرات ، واستدراك الفائتات : وإنما يستقيم الرجوع إليه وفاء ، بثلاثة أشياء : بالإخلاص من لذة الذنب ، وبترك استهانة أهل الغفلة تخوفا عليهم مع الرجاء لنفسك ، وبالاستقصاء فى رؤية علل الخدمة . وإنما يستقيم الرجوع إليه حالا ، بثلاثة أشياء : بالإياس من عملك ، وبمعاينة اضطرارك ، وبشيم برق لطفه بك ه

باب التفكر

قال الله تعالى : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) اعلم أن التفكر تلمس البصيرة لاستدراك البغية ، وهو ثلاثة أنواع : فكرة فى عين التوحيد ، وفكرة فى لطائف الصنع ، وفكرة فى معانى الأعمال والأحوال . فأما الفكرة فى عين التوحيد ، فهى اقتحام بحر الجحود ، ولا ينجى منه إلا الاعتصام بضياء الكشف ، والتمسك بالعلم الظاهر. وأما التفكر فى لطائف الصنع ، فهو ماء يسقى زروع الحكمة : وأما الفكرة فى معانى الأعمال والأحوال ، فهى تسهل سلوك طريق الحقيقة . وإنما يتخلص من الفكرة فى عين التوحيد ، بثلاثة أشياء : بمعرفة عجز العقل ، وبالإياس عن الوقوف على الغاية ، وبالاعتصام بحبل التعظيم : وإنما تدرك لطائف الصنع ، بثلاثة أشياء : بحسن النظر فى مبادى المنن ، وبالإجابة لدواعى الإشارات ، وبالإخلاص من رق إتيان الشهوات ، وإنما يوقف بالفكرة على مراتب الأعمال والأحوال بثلاثة أشياء : باستصحاب العلم ، واتهام المرسومات ، وبمعرفة مواقع الغير :

باب التذكر

قال الله عز وجل : (وما يتذكر إلا من ينيب) التذكر فوق التفكر ، فإن التفكر طلب والتذكر وجود . وأبنية التذكر ثلاثة أشياء : الانتفاع بالعظة ، والاستبصار للعبرة ، والظفر بثمرة الفكرة . وإنما ينتفع بالعظة بعد حصول ثلاثة أشياء : بشدة الافتقار ، وبالعمى عن عيب الواعظ ، وتذكر الوعد والوعيد : وإنما تستبصر العبرة ، بثلاثة أشياء : بحياة العقل ، ومعرفة الأيام ، والسلامة من الأغراض . وإنما تجتنى ثمرة الفكرة ، بثلاثة أشياء : بقصر الأمل ، والتأمل فى القرآن ، وقلة الخلطة ، والتمنى والتعلق والشبع والمنام .

باب الاعتصام

قال الله تعالى : (واعتصموا بالله هو مولاكم) وقال : (واعتصموا بحبل الله جميعا) الاعتصام بحبل الله تعالى : هو المحافظة على طاعته مراقبا لأمره ؛ والاعتصام بالله : هو الترقى عن كل موهوم ، والتخلص عن كل تردد . والاعتصام على ثلاث درجات : اعتصام العامة بالخبر استسلاما وإذعانا بتصديق الوعد والوعيد ، وتعظيم الأمر والنهى ، وتأسيس المعاملة على اليقين . والإنصاف : وهو الاعتصام بحبل الله ، واعتصام الخاصة بالانقطاع : وهو صون الإرادة قبضا ، وإسبال الخلق على الخلق بسطا ، ورفض العلائق عزما : وهو التمسك بالعروة الوثقى ، واعتصام خاصة الخاصة بالاتصال : وهو شهود الحق تفريدا بعد الاستخذاء له تعظيما ، والاشتغال بالحق تعالى قربا : وهو الاعتصام بالله .

باب الفرار

قال الله تعالى : (ففروا الى الله) الفرار : هو الهرب مما لم يكن إلى مالم يزل ، وهو على ثلاث درجات : فرار العامة من الجهل إلى العلم عقدا وسعيا ، ومن الكسل إلى التشمير جدا وعزما ، ومن الضيق إلى السعة ثقة ورجاء . وفرار الخاصة من الخبر إلى الشهود ، ومن الرسوم إلى الأصول ، ومن الحظوظ إلى التجريد . وفرار خاصة الخاصة مما دون الحق إلى الحق ، ثم من شهود الفرار إلى الحق ، ثم الفرار من الفرار إلى الحق .

باب الرياضة

قال الله تعالى : (والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة) الرياضة : تمرين النفس على قبول الصدق . وهى على ثلاث درجات : الدرجة الأولى ، رياضة العامة : وهى تهذيب الأخلاق بالعلم ، وتصفية الأعمال بالإخلاص ، وتوفير الحقوق فى المعاملة . والدرجة الثانية ، رياضة الخاصة : حسم التفرق ، وقطع الالتفات إلى المقام الذى جاوزه ، وإبقاء العلم يجرى مجراى . الدرجة الثالثة ، رياضة خاصة الخاصة : تجريد الشهود والصعود إلى الجمع ، ورفع المعارضات ، وقطع المفاوضات .

باب السماع

قال الله عز وجل : (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) السماع : حقيقة الانتباه ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : سماع العامة ، وهو ثلاثة أشياء : إجابة زجر الوعيد من الورع رعة ، وإجابة دعوة الوعد جهدا ، وبلوغ مشاهدة المنة استبصارا . الدرجة الثانية : سماع الخاصة ثلاثة أشياء : شهود المقصود فى كل رمز ، والوقوف على الغاية فى كل حس ، والخلاص من التلذذ بالتفرق . الدرجة الثالثة : سماع خاصة الخاصة ، سماع يغسل العلل عن الكشف ، ويصل الأبد إلى الأزل ، ويرد النهايات إلى الأول .

وأما قسم الأبواب

فهو عشرة أبواب ، وهى الحزن . والخوف . والإشفاق . والخشوع . والإخبات . والزهد . والورع . والتبتل . والرجاء . والرغبة .

باب الحزن

قال الله تعالى : (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا) الحزن : توجع لفائت أو تأسف على ممتنع ، وله ثلاث درجات : الدرجة الأولى : حزن العامة ، وهو حزن على التفريط فى الخدمة ، وعلى التفرط فى الجفاء ، وعلى ضياع الأيام . والدرجة الثانية : حزن أهل الإرادة ، وهو حزن على تعلق القلب بالتفرقة ، وعلى اشتغال النفس عن الشهود ، وعلى التسلى عن الحزن ، وليست الخاصة من مقام الحزن فى شىء ولكن . الدرجة الثالثة من مقام الحزن : التحزن للمعارضات دون الخواطر ، ومعارضات المقصود ، والاعتراضات على الأحكام .

باب الخوف

قال الله تعالى : (يخافون ربهم من فوقهم) الخوف : هو الانخلاع عن طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : الخوف من العقوبة ، وهو الخوف الذى يصح به الإيمان وهو خوف العامة ، وهو يتولد من تصديق الوعيد ، وذكر الجناية ، ومراقبة العاقبة . والدرجة الثانية : خوف المكر فى حال جريان الأنفاس المستغرقة فى اليقظة المشوبة بالحلاوة ، وليس فى مقام أهل الخصوص وحشة الخوف إلا هيبة الجلال ، وهى أقصى درجة يشار إليها فى غاية الخوف ، وهى هيبة تعارض المكاشف أوقات المناجاة ، وتصون المشاهد أحيان المسامرة ، وتقصم المعاين بصدمة العزة .

باب الإشفاق

قال الله تعالى : (إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين) الإشفاق : دوام الحذر مقرونا بالترحم ، وهو على ثلاث درجات. الدرجة الأولى : إشفاق على النفس أن تجمح إلى العناد ، وإشفاق على العمل أن يصير إلى الضياع ، وإشفاق على الخليقة لمعرفة معاذيرها . والدرجة الثانية : إشفاق على الوقت أن يشوبه تفرق ، وعلى القلب أن يزاحمه عارض ، وعلى اليقين أن يداخله سبب . والدرجة الثالثة : إشفاق يصون سعيه من العجب ، ويكف صاحبه من مخاصمة الخلق ، ويحمل المريد على حفظ الحد .

باب الخشوع

قال الله تعالى : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) الخشوع : خمود النفس وهمود الطباع لمتعاظم أو مفزع ، وهو على ثلاث درجات = الدرجة الأولى : التذلل للأمر ، والاستسلام للحكم ، والاتضاع لنظر الحق . والدرجة الثانية : ترقب آفات النفس والعمل ، ورؤية فضل كل ذى فضل عليك ، وتنسم نسيم الفناء . والدرجة الثالثة : حفظ الحرمة عند المكاشفة ، وتصفية الوقت من مزايا الخلق ، وتجريد رؤية الفضل .

باب الإخبات

قال الله عز وجل : (وبشر المخبتين) الإخبات : من أوائل مقام الطمأنينة ، وهو ورود المأمن من الرجوع والتردد ، وهو على ثلاث درجات ; الدرجة الأولى : أن تستغرق العصمة الشهوة ، وتستدرك الإرادة الغفلة ، ويستهوى الطلب السلو . الدرجة الثانية : أن لا ينقص إرادته سبب ، ولا يوحش قلبه عارض ، ولا يقطع الطريق عليه فتنة . الدرجة الثالثة : أن يستوى عنده المدح والذم ، وأن تدوم لائمته لنفسه ، وتعمى عن نقصان الخلق عن درجته .

باب الزهد

قال الله تعالى : (بقية الله خير لكم) الزهد : إسقاط الرغبة عن الشىء بالكلية ، وهو للعامة قربة وللمريد ضرورة وللخاصة خشية ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : الزهد فى الشبهة بعد ترك الحرام ، بالحذر من المعتبة ، والأنفة من المنقصة ، وكراهة مشاركة الفساق . الدرجة الثانية : الزهد فى الفضول ، وما زاد على المسألة والبلاغ من القوت باغتنام التفرغ إلى عمارة الوقت ، وحسم الجاش ، والتحلى بحلية الأنبياء والأولياء والصديقين . الدرجة الثالثة : الزهد فى الزهد ، بثلاثة أشياء : باستحقار ما زهدت فيه ، واستواء الحالات عندك ، والذهاب عن شهود الاكتساب ناظرا إلى وادى الحقائق .

باب الورع

قال الله تعالى : (وثيابك فطهر) الورع : توق مستقصى على حذر ، أو تحرج على تعظيم . وهو آخر مقام الزهد للعامة ، وأول مقام الزهد للمريد ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : تجنب القبائح بصون النفس ، وتوفير الحسنات ، وصيانة الإيمان . وهذه الصفات الثلاث فى الدرجة الأولى هى ورع المريد . الدرجة الثانية : حفظ الحدود عند ما لا بأس به ، إبقاء على الصيانة والتقوى ، صعودا عن الدناءة ، وتخلصا عن اقتحام الحدود . الدرجة الثالثة : التورع عن كل داعية تدعو إلى شتات الوقت ، والتعلق بالتفرق ، وعارض يعارض حال الجمع .

باب التبتل

قال الله تعالى : (وتبتل إليه تبتيلا) التبتل : الانقطاع إليه بالكلية . وقوله تعالى : (له دعوة الحق) أى التجريد المحض وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : تجريد الانقطاع عن الحظوظ واللحوظ إلى العالم خوفا أو رجاء ، ومبالاة بحال ؛ فحسم الرجاء بالرضا ، وقطع الخوف بالتسليم ، ورفض المبالاة بشهود الحقيقة .

الدرجة الثانية : تجريد الانقطاع عن التعريج على النفس بمجانبة الهوى ، وتنسم روح الأنس ، وشيم برق الكشف . الدرجة الثالثة : تجريد الانقطاع إلى السبق بتصحيح الاستقامة ، والاستغراق فى قصد الوصول ، والنظر إلى أوائل الجمع .

باب الرجاء

قال الله تعالى : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ الرجاء : أضعف منازل المريد ، لأنه معارضة من وجه واعتراض من وجه ، وهو وقوع فى الرعونة فى مذهب هذه الطائفة ، إلا ما فيه من فائدة واحدة ، ولهذا نطق باسمه التنزيل والسنة ، ودخل فى مسالك المحققين . وتلك الفائدة أنه يفثى حرارة الخوف ، حتى لا يعدو إلى الإياس . والرجاء على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : رجاء يبعث العامل على الاجتهاد ، ويولد التلذذ بالخدمة ، ويوقظ سماحة الطباع بترك المنأى . الدرجة الثانية : رجاء أرباب الرياضات أن يبلغوا موقفا تصفو فيه هممهم ، برفض الملذوذات ، ولزوم شروط العلم ، واستيفاء حدود الحمية . الدرجة الثالثة : رجاء أرباب طيب القلوب ، وهو رجاء لقاء الحق تعالى الباعث على الاشتياق ، المنغص للعيش ، المزهد فى الخلق .

باب الرغبة

قال الله تعالى : ﴿ ويدعوننا رغبا ورهبا ﴾ الرغبة إلى الحق بالحقيقة من الرجاء ، وهى فوق الرجاء لأن الرجاء طمع يحتاج إلى التحقيق ، والرغبة هى سلوك على التحقيق ، والرغبة على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : رغبة أهل الخبر ، تتولد من العلم ، فتبعث على الاجتهاد ، وتمنع صاحبها من الرجوع إلى غثاثة الرخص . الدرجة الثانية : رغبة أرباب الحال ، وهى رغبة لا تبقى من المجهود إلا مبذولا ، ولا تدع للهمة ذبولا ، ولا تترك غير المقصود مأمولا . الدرجة الثالثة : رغبة أهل الشهود ، تشوق تصحبه تقية ، وتحمله همة نقية ، لا تبقى معه من التفريق بقية .

وأما قسم المعاملات

فهى عشرة أبواب ، وهى الرعاية ، والمراقبة ، والحرمة ، والإخلاص ، والتهذيب ، والاستقامة ، والتوكل ، والتفويض ، والثقة ، والتسليم .

باب الرعاية

قال الله عز وجل : ﴿ فما رعوها حق رعايتها ﴾ . الرعاية : صون بالعناية ، وهى على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : رعاية الأعمال . والدرجة الثانية : رعاية الأحوال . والدرجة الثالثة : رعاية الأوقات . فأما رعاية الأعمال : فتوفيرها بتحقيرها ، والقيام بها من غير نظر إليها ، وإجراؤها مجرى العلم لا على التزين بها . وأما رعاية الأحوال فهو أن يعد الاجتهاد مرآة ، واليقين تشبعا ، والحال دعوى . وأما رعاية الأوقات : فأن تقف مع كل خطوة ، ثم أن تغيب عن خطوة بالصفا من رسمه ، ثم أن تذهب عن شهود صفوه .

باب المراقبة

قال الله تعالى : ﴿ فارتقب إنهم مرتقبون ﴾ . المراقبة : دوام ملاحظة المقصود ، وهى على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : مراقبة الحق فى السير له على الدوام ، بين تعظيم مذهل ، ومداناة حاملة ، وسرور باعث . والدرجة الثانية : مراقبة نظر الحق إليك برفض المعارضة ، وبالإعراض عن الاعتراض ، ونقض رعونة التعرض . والدرجة الثالثة : مراقبة الأزل بمطالعة عين السبق استقبالا لعلم التوحيد ، ومراقبة ظهور إشارات الأزل على أحايين الأبد ، ومراقبة الإخلاص من ورطة المراقبة .

باب الحرمة

قال الله تعالى : ﴿ ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ﴾ الحرمة : هى التحرج من المخالفات والمجاسرات ، وهى على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : تعظيم الأمر والنهى لا خوفا من العقوبة ، فيكون خصومة للنفس ، ولا طلبا للمثوبة

فيكون مستنزها للآخرة، ولا مشاهدة لأحد فيكون متدينا بالمراآة ؛ فإن هذه الأوصاف كلها شعب من عبادة النفس . الدرجة الثانية : إجراء الخبر على ظاهره، وهو أن يبقى إعلام توحيد العامة الخبرية على ظاهرها ، لايتحمل البحث عنها تعشقا ، ولا يتكلف لها تأويلا ، ولا يتجاوز ظواهرها تمثيلا ، ولا يدعى عليها إدراكا أو توهما . الدرجة الثالثة : صيانة الانبساط أن يشوبه جراءة ، وصيانة السرور أن يداخله أمن ، وصيانة الشهود أن يعارضه سبب :

باب الإخلاص

قال الله عز وجل (ألا لله الدين الخالص) والإخلاص : تصفية العمل من كل شوب ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى: إخراج رؤية العمل من العمل والخلاص من طلب العوض على العمل ، والنزول عن الرضا بالعمل ؛ الدرجة الثانية : الخجل من العمل مع بذل المجهود ، وتوفير الجهد بالاحتماء من الشهود ، ورؤية العمل من نور التوفيق من عين الجود . الدرجة الثالثة: إخلاص العمل بالإخلاص من العمل ، أن تدعه يسير مسير العلم ، وتسير أنت مشاهداً للحكم ، حرا من رق الرسم ٥

باب التهذيب

قال الله تعالى : (فلما أفل قال لا أحب الآفلين)التهذيب: محنة أرباب البدايات ، وهو شريعة من شرائع الرياضات ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى: تهذيب الخدمة أن لايخالطها جهالة ، ولا يشوبها عادة ، ولا يقف عندها همة . الدرجة الثانية : تهذيب الحال ، وهو أن لايجنح الحال إلى علم ، ولا يخضع لرسم ولا يلتفت إلى حظ . الدرجة الثالثة : تهذيب القصد، وهو تصفيته من ذل الإكراه ، وتحفظه من مرض الفتور ، ونصرته على منازعات العلم .

باب الاستقامة

قال الله تعالى : (فاستقيموا إليه) قوله إليه إشارة إلى عين التفريد : والاستقامة : روح تحيا بها الأحوال كما تربو للعامة عليها الأعمال ، وهى برزخ بين وهاد التفرق وروابى الجمع ، وهى على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : الاستقامة على الاجتهاد

فى الاقتصاد ، لاعاديا رسم العلم ولا متجاوزا حد الإخلاص ، ولا مخالفا نهج السنة . الدرجة الثانية : استقامة الأحوال ، وهى شهود الحقيقة لاكسبا ، ورفض الدعوى لاعلما ، والبقاء مع نور اليقظة لاتحفظا . الدرجة الثالثة : استقامة بترك رؤية الاستقامة بالغيبة ، عن تطلب الاستقامة بشهود إقامة الحق وتقويمه عز وجل :

باب التوكل

قال الله تعالى : (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) التوكل : كلة الأمر كله إلى مالكه والتعويل على وكالته ، وهو من أصعب منازل العامة عليهم وأوهى السبل عند الخاصة ، لأن الحق قد وكل الأمور كلها إلى نفسه ، وآيس العالم عن ملك شىء منها، وهو على ثلاث درجات كلها تسير مسير العامة . الدرجة الأولى : التوكل مع الطلب ، ومعاطاة السبب على نية شغل النفس ، ونفع الخلق وترك الدعوى . الدرجة الثانية : التوكل مع إسقاط الطلب ، وغض الطرف عن السبب اجتهادا لتصحيح التوكل وقمعا لشرف النفس ، وتفرغا إلى حفظ الواجبات . الدرجة الثالثة : التوكل مع معرفة التوكل، والنازعة إلى الخلاص من علة التوكل وهو أن تعلم أن ملكة الحق تعالى للأشياء ، ملكة عزة لايشاركه فيها مشارك، فيكل شريكه إليه ، فإن من ضرورة العبودية أن يعلم العبد أن الحق تعالى هو مالك الأشياء وحده :

باب التفويض

قال الله تعالى ، حاكياً عن مؤمن آل فرعون : (وأفوض أمرى إلى الله) التفويض : ألطف إشارة وأوسع معنى من التوكل ، فإن التوكل بعد وقوع السبب والتفويض قبل وقوعه وبعده ، وهو عند الاستسلام ، والتوكل شعبة منه ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : أن يعلم أن العبد لايملك قبل عمله استطاعة ، فلا يأمن من مكر ، ولا ييأس من معونة ، ولا يعول على نية . الدرجة الثانية : معاينة الاضطرار ، فلا يرى عملا منجيا ، ولا ذنباً مهلكاً ، ولا سبباً حاملا .

الدرجة الثالثة : شهود انفراد الحق بملك الحركة والسكون ، والقبض والبسط ، ومعرفته بتعريف التفرقة والجمع .

باب الثقة

قال الله تعالى : (فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم) الثقة : سواد عين التوكل ، ونقطة دائرة التفويض ، وسويداء قلب التسليم ، وهى على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : وهى درجة الاياس ، وهو يأس العبد من مقاواة الأحكام ، ليقعد عن منازعة الأقسام ، ليتخلص عن قحة الإقدام . الدرجة الثانية : درجة الأمن ، وهو أمن العبد من فوت المقدور ، وانتقاض المسطور ، فيظفر بروح الرضا ، وإلا فبعين اليقين ، وإلا فبلطف الصبر . الدرجة الثالثة : معاينة أزلية الحق ، ليتخلص من محن القصود ، وتكاليف الحمايات ، والتعريج على مدارج الوسائل .

باب التسليم

قال الله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وفى التسليم والثقة والتفويض ما فى التوكل من الاعتدال ، وهو من أعلى درجات سبل العامة ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : تسليم مايزاحم العقول مما يشق على الأوهام ، من الغيب والإذعان ، لما يغالب القياس من سير الدول ، والقسم والإجابة لما يوزع المريد من ركوب الأحوال . الدرجة الثانية : تسليم العلم إلى الحال ، والقصد إلى الكشف والرسم إلى الحقيقة . الدرجة الثالثة : تسليم ما دون الحق إلى الحق ، مع السلامة من رؤية التسليم ، بمعاينة تسليم الحق إياك إليه .

وأما قسم الأخلاق

فهى عشرة أبواب : وهو الصبر . والرضا . والشكر . والحياء . والصدق والإيثار . والخلق . والتواضع . والفتوة . والانبساط .

باب الصبر

قال الله تعالى : (واصبر وما صبرك إلا بالله) الصبر : حبس النفس على جزع كامن عن الشكوى ، وهو أيضا من أصعب المنازل على العامة ، وأوحشها فى طريق المحبة ، وأنكرها فى طريق التوحيد ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : الصبر عن المعصية بمطالعة الوعيد ، إبقاء على الإيمان وحذرا من الحرام ، وأحسن منها الصبر عن المعصية حياء . الدرجة الثانية : الصبر على الطاعة ، بالمحافظة عليها دواما ، وبرعايتها إخلاصا ، وبتحصينها علما . الدرجة الثالثة : الصبر فى البلاء ، بملاحظة حسن الجزاء ، وانتظار روح الفرج ، وتهوين البلية بعد أيادى المنن ، وتذكر سوالف النعم ، وفى هذه الدرجات الثلاث نزلت (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) يعنى فى البلاء (وصابروا) يعنى عن المعصية (ورابطوا) يعنى على الطاعة . وأضعف الصبر الصبر لله وهو صبر العامة ، وفوقه الصبر بالله وهو صبر المريد ، وفوقهما الصبر على الله وهو صبر السالكين .

باب الرضا

قال الله تعالى : (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية) لم يدع فى هذه الآية للمتسخط إليه سبيلا ، وشرط للقاصد الدخول فى الرضا ، والرضا اسم للوقوف الصادق حيث ماوقف العبد ، لا يلتمس متقدما ولا متأخرا ، ولا يستزيد مزيدا ولا يستبدل حالا ، وهو من أوائل مسالك أهل الخصوص ، وأشقها على العامة ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : رضا العامة ، وهو الرضا بالله ربا ويسخط عبادة ما دونه ، وهو قطب رحى الإسلام ، وهو

مطهر من الشرك الأكبر . وهو يصح بثلاث شرائط : أن يكون الله تعالى أحب الأشياء إلى العبد ، وأولى الأشياء بالتعظيم ، وأحق الأشياء بالطاعة . الدرجة الثالثة : الرضا عن الله تعالى وبهذا الرضا نطقت آيات التنزيل ، وهو الرضا عنه في كل ما قضى وقدر ، وهذا من أوائل مسالك أهل الخصوص ويصح بثلاث شرائط : باستواء الحالات عند العبد ، وسقوط الخصومة مع الخلق ، وبالإخلاص في المسئلة والإلحاح : الدرجة الثالثة : الرضا برضى الله تعالى ، فلا يرى العبد لنفسه سخطا ولا رضا ، فيبعثه على ترك التحكم وحسم الاختيار ، وإسقاط التمييز ولو أدخل النار .

باب الشكر

قال الله عز وجل : (وقليل من عبادى الشكور) الشكر : اسم لمعرفة النعمة لأنها السبيل إلى معرفة المنعم ، ولهذا المعنى سمى الله تعالى الإسلام والإيمان في القرآن شكرا ، ومعانى الشكر ثلاثة أشياء : معرفة النعمة ، ثم قبول النعمة ، ثم الثناء بها وهو أيضا من سبل العامة ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : الشكر على المحاب ، وهذا شكر تشاركت المسلمون فيه واليهود والنصارى والمجوس ، ومن سعة بر البارى أنه عده شكرا ، ووعد عليه الزيادة ، وأوجب فيه المثوبة . الدرجة الثانية : الشكر في المكاره ، وهذا ممن يستوى عنده الحالات إظهار الرضا ، وممن يميز بين الأحوال كظم الغيظ والشكوى ، ورعاية الأدب ، وسلوك مسلك العلم ، وهذا الشاكر أول من يدعى إلى الجنة . الدرجة الثالثة : أن لا يشهد العبد إلا المنعم ، فإذا شهد المنعم عبودة استعظم منه النعمة ، وإذا شهده حبا استحلى منه الشدة ، فإذا شهده تفريدا لم يشهد منه نعمة ولا شدة .

باب الحياء

قال الله تعالى : (ألم يعلم بأن الله يرى) الحياء : من أول مدارج أهل الخصوص ، يتولد من تعظيم منوط بود ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : حياء يتولد من علم العبد بنظر الحق فيجذبه إلى تحمل المجاهدة ،

ويحمله على استقباح الجناية ، ويسكته عن الشكوى . الدرجة الثانية : حياء يتولد من نظر في علم القرب ، فيدعوه إلى ركوب المحبة ، ويربطه بروح الأنس ، ويكره إليه ملابسة الخلق . الدرجة الثالثة : حياء يتولد من شهود الحضرة ، وهي التي لا يشوبها هيبة ، ولا يقاويها تفرقة ، ولا يوقف لها على غاية .

باب الصدق

قال الله تعالى : (فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) الصدق : اسم لحقيقة الشيء حصولا ووجودا ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : صدق القصد ، وبه يصح الدخول في هذا الشأن ويتلافى كل تفريط ، ويتدارك كل فائت ، ويعمر كل خراب . وعلامة هذا الصادق : أن لا يحتمل داعية إلى نقض عهد ، ولا يصبر على صحبة ضد ، ولا يقعد عن الجد بحال . الدرجة الثانية : أن لا يتمنى الحياة إلا للحق ، ولا يشهد من نفسه إلا أثر النقصان ، ولا يلتفت إلى ترفيه الرخص . الدرجة الثالثة : الصدق في معرفة الصدق ، فإن الصدق لا يستقيم في علم أهل الخصوص إلا على حرف واحد ، وهو أن يتفق رضا الحق بعمل العبد راضيا مرضيا ، فأعماله إذن مرضية ، وأحواله صادقة ، وقصوده مستقيمة . وإن كان العبد كسى ثوبا معارا ، فأحسن أعماله ذنب ، وأصدق أحواله زور ، وأصفى قصوده قعود .

باب الإيثار

قال الله تعالى : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) الإيثار : تخصيص واختيار ، والأثرة تحسن طوعا وتصح كرها ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : أن تؤثر الخلق على نفسك ، فيما لا يحرم عليك دينا ، ولا يقطع عليك طريقا ، ولا يفسد عليك وقتا . ويستطاع هذا بثلاثة أشياء : بتعظيم الحقوق ومقت الشح ، والرغبة في مكارم الأخلاق . الدرجة الثانية : إيثار رضا الله تعالى على رضا غيره ، وإن عظمت فيه المحن وثقلت به المؤن ، وضعف عنه الطول والبدن . ويستطاع بثلاثة أشياء : بطيب العود وحسن الإسلام ، وقوة الصبر .

الدرجة الثالثة : إيثار الله تعالى ، فإن الخوض فى الإيثار دعوى فى الملك ، ثم ترك شهود رؤيتك إيثار الله تعالى ، ثم غيبتك عن الترك .

باب الخلق

قال الله تعالى : (وإنك لعلى خلق عظيم) الخلق : ما يرجع إليه المتكلف من نعته ، واجتمعت كلمة الناطقين فى هذا العلم : إن التصوف هو الخلق ، وجماع الكلام فيه يدور على قطب واحد ، وهو بذل المعروف وكف الأذى ، وإنما يدرك إمكان ذلك فى ثلاثة أشياء : فى العلم ، والجود ، والصبر ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : أن يعرف مقام الخلق ، أنهم بأقدارهم مربوطون ، وفى طاقاتهم محبوسون ، وعلى الحكم موقوفون ، وتستفيد هذه المعرفة بثلاثة أشياء : أمن الخلق منك حتى الكلب ، ومحبة الخلق إياك ، ونجاة الخلق بك . الدرجة الثانية : تحسين خلقك مع الحق وتحسينه منك ، أن تعلم أن كل ما يأتى منك يوجب عذرا ، وأن كل ما يأتى من الحق يوجب شكرا ، أو أن لا ترى له من الوفاء بدا . الدرجة الثالثة : التخلق بتصفية الخلق ، ثم الصعود عن تفرق التخلق ، ثم التخلق بمجاوزة التخلق .

باب التواضع

قال الله تعالى : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا) التواضع : أن يتواضع العبد لصولة الحق ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى . التواضع للدين ، وهو أن لا يعارض بمعقول منقولا ، ولا يتهم على الدين دليلا ، ولا يرى إلى الخلاف سبيلا ، ولا يصح له ذلك إلا بأن يعلم أن النجاة فى البصيرة ، والإستقامة بعد الثقة ، وأن البينة وراء الحجة . الدرجة الثانية : أن ترضى بمن رضى الحق به لنفسه عبدا من المسلمين أخا ، ولا ترد على عدوك حقا وتقبل من المعتذر معاذيره . الدرجة الثالثة : أن تتضع للحق فتنزل عن رأيك فى الخدمة ، ورؤية حقك فى الصحبة ، وعن رسمك فى المشاهدة .

باب الفتوة

قال الله تعالى : (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) الفتوة : أن تشهد منك فضلا ، ولا ترى لك حقا ، وهى على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : ترك الخصومة ، والتغافل عن الزلة ، ونسيان الأذية . الدرجة الثانية : أن تقرب من يقصيك ، وتكرم من يؤذيك ، وتعتذر إلى من يجنى عليك ، سماحا لا كظما ، وتوادا لا مصابرة . الدرجة الثالثة : أن لا تتعلق فى المسير بدليل ، ولا تشوب إجابتك بغرض ، ولا تقف فى شهودك على رسم .

اعلم أن من أحوج عدوه إلى شفاعة ، ولم يخجل من المعذرة إليه ، لم يشم رائحة الفتوة ، ثم فى علم الخصوص : من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال ، لم يحل له دعوى الفتوة أبدا .

باب الانبساط

قال الله تعالى ، حاكيا عن كليمه : (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) الانبساط : إرسال السجية ، والتحاشى عن وحشة الحشمة ، وهو السير مع الجبلة ، وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : الانبساط مع الخلق ، وهو أن لا تعتزلهم ضنا على نفسك ، أو شحا على حظك ، وتسترسل لهم فى فضلك ، وتسعهم بخلقك ، وتدعهم يطؤونك والعلم قائم وشهودك المعنى دائم . الدرجة الثانية : الانبساط مع الحق ، هو أن لا يحبسك خوف ولا يحجبك رجاء ، ولا يحول بينك وبينه آدم وحواء . الدرجة الثالثة الانبساط فى الانطواء عن الانبساط ، وهو رحب الهمة لانطواء انبساط العبد فى بسط الحق عز وجل .

وأما قسم الأصول

فهي عشرة أبواب. وهي القصد. والعزم. والإرادة. والأدب. واليقين. والأنس. والذكر. والفقر. والغنى. ومقام المراد.

باب القصد

قال الله تعالى: (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) القصد: الإزماع على التجرد للطاعة، وهو على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: قصد يبعث على الارتياض، ويخلص من التردد، ويدعو إلى مجانبة الأعراض. الدرجة الثانية: قصد لا يلقى سببا إلا قطعه، ولا يدع حائلا إلا منعه، ولا تحملا إلا سهله. الدرجة الثالثة: قصد الاستسلام لتهذيب العلم، وقصد إجابة دواعي الحكم، وقصد اقتحام في بحر الفناء.

باب العزم

قال الله تعالى: (فإذا عزمت فتوكل على الله) العزم الحقيقي: القصد طوعا أو كرها، وهو على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: إباء الحال على العلم، لشيم برق الكشف، واستدامة نور الأنس، والإجابة لإماتة الهوى. الدرجة الثانية. الاستغراق في لوائح المشاهدة، واستنارة ضياء الطريق، واستجماع قوى الاستقامة. الدرجة الثالثة: معرفة علة العزم، ثم العزم على التخلص من العزم، ثم الخلاص من تكاليف ترك العزم، فإن العزائم لم تورث أربابها ميراثا، أكرم من وقوفهم على علل العزائم.

باب الإرادة

قال الله تعالى: (قل كل يعمل على شاكلته) الإرادة من قوانين هذا العلم وجوامع أبنيته، وهو الإجابة لدواعي الحقيقة طوعا، وهو على ثلاث درجات، الدرجة الأولى ذهاب عن العادات بصحبة العلم، والتعلق بأنفاس السالكين

مع صدق القصد، وخلع كل شاغل من الإخوان، ومشتت من الأوطان. الدرجة الثانية: تقطع بصحبة الحال، وترويح الأنس، والسير بين القبض والبسط. الدرجة الثالثة: ذهول مع صحة الاستقامة، وملازمة رعاية الأدب.

باب الأدب

قال الله تعالى: (والحافظون لحدود الله) الأدب: حفظ الحد بين الغلو والجفاء بمعرفة ضرر العدوان، وهو على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: منع الخوف أن يتعدى إلى الإياس وحبس الرجاء أن يخرج إلى الأمن. وضبط السرور أن يضاهي الجراءة. الدرجة الثانية: الخروج من الخوف إلى ميدان القبض، والصعود عن الرجاء إلى ميدان البسط، ثم الترقي عن السرور إلى ميدان المشاهدة. الدرجة الثالثة: معرفة الأدب، ثم الغنى عن التأدب بتأديب الحق، ثم الخلاص من شهود أعباء الأدب.

باب اليقين

قال الله عز وجل: (وفي الأرض آيات للموقنين) اليقين: مركب الآخذ في هذا الطريق، وهو غاية درجات العامة، وقيل: أول خطوة الخاصة، وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: علم اليقين، وهو قبول ما ظهر من الحق، وقبول ما غاب للحق، والوقوف على ما قام بالحق. الدرجة الثانية: عين اليقين، وهو الغنى بالاستدراك عن الاستدلال، وعن الخبر بالعيان وخرق الشهود حجاب العلم. الدرجة الثالثة: حق اليقين، وهو إسفار صبح الكشف، ثم الخلاص من كلفة اليقين، ثم الفناء في حق اليقين.

باب الأنس

قال الله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) الأنس: إشارة إلى روح القرب، وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: الأنس بالشواهد، وهو استحلاء الذكر، والتغذي بالسماع والوقوف على الإشارات. الدرجة الثانية: الأنس بنور الكشف، وهو أنس شاخص عن الأنس

الأول يشوبه صولة الهيمان ، و يضربه موج الفناء ، وهو الذى غلب قوما على عقولهم ، وسلب قوما طاقة الاصطبار ، وحل عنهم قيود العلم ، وفى هذا ورد الخبر بهذا الدعاء « أسألك شوقا إلى لقائك ، من غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة » ♦ الدرجة الثالثة : أس اضمحلال فى شهود الحضرة ، لا يعبر عن عينه ، ولا يشار إلى حده ، ولا يوقف على كنهه :

باب الذكر

قال الله تعالى : (واذكر ربك إذ انسيت) يعنى إذا نسيت غيره ونسيت نفسك فى ذكرك . ثم نسيت ذكرك فى ذكره . ثم نسيت فى ذكر الحق إياك كل ذكر والذكر : هو التخلص من الغفلة والنسيان ، وهو على ثلاث درجات الدرجة الأولى : الذكر الظاهر . من ثناء ، أو دعاء ، أو رعاية الدرجة الثانية : الذكر الخفى ، وهو الإخلاص من القيود ، والبقاء مع الشهود ، ولزوم المسامرة . الدرجة الثالثة : الذكر الحقيقى ، وهو شهود ذكر الحق إياك ، والتخلص من شهود ذكرك ومعرفة افتراء الذاكر فى بقائه مع الذكر :

باب الفقر

قال الله تعالى : (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) الفقر : اسم للبراءة من رؤية الملكة ، وهو على ثلاث درجات ♦ الدرجة الأولى : فقر الزهاد ، وهو قبض اليد عن الدنيا ضبطا أو طلبا ، وإسكات اللسان عنها ذما أو مدحا ، والسلامة منها طلبا أو تركا ، وهذا هو الفقر الذى تكلموا فى شرفه . الدرجة الثانية : الرجوع إلى السبق بمطالعة الفضل ، وهو يورث الإخلاص من رؤية الأعمال ، ويقطع شهود الأحوال ، ويمحص من أدناس مطالعة المقامات . الدرجة الثالثة : صحة الإضطرار والوقوع فى يد المنقطع . الوحدانى فى بيداء التجريد ، وهذا فقر الصوفية ،

باب الغنى

قال الله تعالى : (ووجدك عائلا فأغنى) الغنى : اسم للملك التام وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : غناء القلب وهو سلامته من السبب ، ومسالمته للحكم وخلاصه من الخصومة . الدرجة الثانية : غنى النفس ، وهو استقامتها على المرغوب ، وسلامتها من المسخوط ، وبراءتها من المراآة . الدرجة الثالثة : الغنى بالحق ، وهو على ثلاث مراتب . الأولى : شهودك ذكره إياك . والثانية : دوام مطالعة أوليته . والثالثة : الفوز بوجود شهودك ذكره إياك .

باب مقام المراد

قال الله تعالى : (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك) أكثر المتكلمين فى هذا العلم ، جعلوا المراد والمريد اثنين ، وجعلوا مقام المراد فوق مقام المريد ، وإنما أشاروا باسم المراد إلى الضنائن الذين ورد فيهم الخبر ، وللمراد ثلاث درجات ♦ الدرجة الأولى : أن يعصم العبد وهو يستشرف للجفاء اضطرارا بتبغيض الشهوات ، وتعويق الملاذ ، وسد مسالك المعاطب عليه إكراها : الدرجة الثانية : أن يضع عن العبد عوارض النقص ، ويعافيه من سمة اللائمة ، ويملكه عواقب الهفوات ، كما فعل بسليمان عليه الصلاة والسلام فى قتل الخيل ، فحمله على الريح الرخاء فأغناه عن الخيل . وفعل بموسى عليه الصلاة والسلام حين ألقى الألواح وأخذ برأس أخيه ، ولم يعتب عليه ، كما عتب على آدم وداود ونوح ويونس عليهم الصلاة والسلام . الدرجة الثالثة : اجتباء الحق تعالى عبده واستخلاصه إياه بخالصته ، كما ابتدأ موسى عليه الصلاة والسلام . وقد خرج يقتبس نارا ، فاصطنعه لنفسه ، وأبقى منه رسما معارا .

وأما قسم الأدوية

فهي عشرة أبواب وهي . الإحسان . والعلم . والحكمة . والبصيرة . والفراسة والتعظيم . والإلهام . والسكينة . والطمأنينة . والهمة :

باب الإحسان

قال الله تعالى : (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) ذكرنا في صدر هذا الكتاب أن الإحسان اسم جامع لجميع أبواب الحقائق ، وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : الإحسان في القصد ، بتهذيبه علما ، وإبرامه عزما ، وتصفيته حالا . الدرجة الثانية : الإحسان في الأحوال ، وهو أن تراعيها غيرة ، وتسترها تظرفا ، وتصححها تحقيقا : الدرجة الثالثة : الإحسان في الوقت ، وهو أن لا تزايل المشاهدة أبدا ، ولا تخلط بهمتك أحدا ، وأن تجعل هجرتك إلى الحق سرمدا .

باب العلم

قال الله تعالى (وعلمناه من لدنا علما) العلم ما قام بدليل ، ورفع الجهل . وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : علم جلي ، به يقع العيان ، أو استفاضة صحيحة ، أو صحة تجربة قديمة ، الدرجة الثانية : علم خفي ، ينبت في الأسرار الطاهرة من الأبدان الزاكية بماء الرياضة الخالصة ، ويظهر في الأنفاس الصادقة لأهل الهمة العالية ، في الأحايين الخالية في الأسماع الصاخية ، وهو علم يظهر الغائب ويغيب الشاهد ، ويشير إلى الجمع . الدرجة الثالثة : علم لدني ، إسناده : وجوده ، وإدراكه : عيانه ، ونعته : حكمه ، ليس بينه وبين الغيب حجاب :

باب الحكمة

قال الله تعالى : (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) الحكمة اسم لإحكام وضع الشيء في موضعه ، وهي على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : أن تعطي كل شيء حقه ، ولا تعديه حده ، ولا تعجله قبل وقته .

الدرجة الثانية : أن تشهد نظر الله تعالى في وعيده ، وتعرف عدله في حكمه ، وتلحظ بره في منعه . الدرجة الثالثة أن تبلغ في استدلالك البصيرة ، وإرشادك الحقيقة ، وإشارتك الغاية .

باب البصيرة

قال الله تعالى : (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) البصيرة : ما يخلصك من الحيرة ، وهي على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : أن تعلم أن العلم القائم بتمهيد الشريعة ، يصدر عن عين لا يخاف عواقبها ، فترى من حقه أن يؤديه يقينا ، ويغضب له غيرة . الدرجة الثانية : أن تشهد في هداية الحق وإضلاله إصابة العدل ، وفي تلوين أقسامه رعاية البر ، وتعاين في جذبه حبل الوصال . الدرجة الثالثة بصيرة تفجر المعرفة ، تثبت الإشارة ، وتنبت الفراسة .

باب الفراسة

قال الله تعالى : (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) التوسم التفرس ، وهو استئناس حكم غيب ، بغير استدلال بشاهد ، ولا اعتبار بتجربة ، وهي على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : فراسة طارئة نادرة تسقط على لسان وحشي في العمر مرة . لحاجة سمع مريد صادق إليها ، لا يتوقف على مخرجها ولا يؤبه لصاحبها ، وهذا شيء لا يتخلص من الكهانة وما ضاهاها ، لأنها لم تشر عن عين ، ولم تصدر عن علم ، ولم تسبق بوجود . الدرجة الثانية : فراسة تجنى من غرس الإيمان ، وتطلع من صحة الحال ، وتلمع من نور الكشف . الدرجة الثالثة . فراسة سرية ، لم تجتلبها روية على لسان مصطنع ، تصريحا أو رمزا .

باب التعظيم

قال الله تعالى : (ما لكم لا ترجون لله وقارا) التعظيم : معرفة العظمة مع التذلل لها . وهي على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : تعظيم الأمر والنهي ، وهو أن لا يعارضهما بترخص جاف ، ولا يعرضا لتشديد غال ، ولا يحملا على

علة توهن الانقياد . الدرجة الثانية : تعظيم الحكم ، أن لا يبغى له عوج ، أو يدافع بعلم ، أو يرضى بعوض . الدرجة الثالثة . تعظيم الحق ، وهو أن لا تجعل دونه سببا ، ولا ترى عليه حقا ، ولا تنازع له احتيالا :

باب الإلهام

قال الله تعالى : (قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) الإلهام : مقام المحدثين ، وهو فوق مقام الفراسة ، لأن الفراسة ربما وقعت نادرة أو استصعبت على صاحبها وقتا و استعصت عليه . والإلهام لا يكون إلا فى مقام عتيد ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : إلهام نبى ، يقع وحيا قاطعا مقرونا بالسماع أو مطلقا . الدرجة الثانية : إلهام يقع عيانا وعلامة صحته أنه لا يخرق سترا ، ولا يجاوز حدا ولا يخطئ أبدا . الدرجة الثالثة : إلهام يجلو لعين التحقيق صرفا ، وينطق عن عين الأزل محضا ، والإلهام غاية تمتنع عن الإشارة إليها :

باب السكينة

قال الله تعالى : (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين) السكينة : اسم لثلاثة أشياء . أولها : سكينة بنى إسرائيل التى أعطوها فى التابوت ، قال أهل التفسير : هى ريح هفافة وذكروا صفتها . وفيها ثلاثة أشياء : هى لأنبيائهم معجزة ، ولملوكهم كرامة ، وهى آية النصرة ، تخلع قلوب العدو بصوتها رعبا إذا التقى الصفان للقتال . والسكينة الثانية : هى التى تنطق على ألسن المحدثين ، ليست هى شيئا يملك إنما هى شىء من لطائف صنع الحق ، يلقى على لسان المحدث الحكمة كما يلقى الملك الوحى على قلوب الأنبياء ، وتنطق المحدثين بنكت الحقائق ، مع ترويح الأسرار وكشف الشبه . والسكينة الثالثة : هى التى أنزلت فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم وقلوب المؤمنين ، وهى شىء يجمع نورا وقوة وروحا ، يسكن إليه الخائف ويتسلى به الحزين ، ويستكن له العصى والجرىء والأبى . وأما سكينة الوقار التى تراها نعتا لأربابها فهى ضياء تلك السكينة

الثالثة التى ذكرناها ، وهى على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : سكينة الخشوع عند القيام بالخدمة ، رعاية ، وتعظيما ، وحضورا . والدرجة الثانية : السكينة عند المعاملة ، بمحاسبة النفس ، وملاطفة الخلق ، ومراقبة الحق . والدرجة الثالثة : السكينة التى تثبت الرضا بالقسم ، وتمنع من الشطح الفاحش ، وتقف بصاحبها على حد الرتبة والسكينة لا تنزل قط إلا فى قلب نبى أو ولى .

باب الطمأنينة

قال الله تعالى : (يا أيتها النفس المطمئنة الآية) الطمأنينة : سكون يقويه أمن صحيح شبيه بالعيان ، وبينه وبين السكينة فرقان . أحدهما : أن السكينة صولة تورث خمود الهيبة أحيانا ، والطمأنينة سكون أمن فيه استراحة أنس . والثانى : أن السكينة تكون نعتا وتكون حينا بعد حين ، والطمأنينة نعت لا يزايل صاحبها وهى على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : طمأنينة القلب بذكر الله ، وهى طمأنينة الخائف إلى الرجاء ، والضجر إلى الحلم ، والمبتلى إلى المثوبة . الدرجة الثانية : طمأنينة الروح فى القصد إلى الكشف ، وفى الشوق إلى العدة . وفى التفرقة إلى الجمع . الدرجة الثالثة : طمأنينة شهود الحضرة إلى اللطف . وطمأنينة الجمع إلى البقاء ، وطمأنينة المقام إلى نور الأزل .

باب الهمة

قال الله تعالى : (ما زاغ البصر وما طغى) الهمة ما يملك الانبعاث إلى المقصود صرفا لا يتمالك صاحبها ولا يلتفت عنها ، وهى على ثلاث درجات . الدرجة الأولى . همة تصون القلب من خسة الرغبة فى الفانى ، وتحمله على الرغبة فى الباقى ، وتصفيه من كدر التوانى . الدرجة الثانية : همة تورث ثقة من المبالاة بالعمل . والنزول على العمل ، والثقة بالأمل . الدرجة الثالثة : همة تتصاعد عن الأحوال والمقامات ، وتزرى بالأعواض والدرجات ، وتنحو عن النعوت نحو الذات :

وأما قسم الأحوال

فهو عشرة أبواب وهي : المحبة . والغيرة . والشوق . والقلق . والعطش . والوجد . والدهش . والهيمان . والبرق . والذوق .

باب المحبة

قال الله تعالى : (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) المحبة : تعلق القلب بين الهمة والأنس في البذل والمنع على الإفراد . والمحبة أول أودية الفناء ، والعقبة التي ينحدر منها على منازل المحو ، وهي آخر منزل تلتقي فيه مقدمة العامة ، وساقة الخاصة ، وما دونها أغراض لأعواض ، والمحبة هي سمة الطائفة . وعنوان الطريقة ومعقد النسبة ، وهي على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : محبة تقطع الوساوس ، وتلذ الخدمة ، وتسلي عن المصائب ، وهي محبة تنبت من مطالعة المنة ، وتثبت باتباع السنة ، وتنمو على الإجابة بالفاقة . والدرجة الثانية : محبة تبعث على إيثار الحق على غيره ، وتلهج اللسان بذكره ، وتعلق القلب بشهوده ، وهي محبة تظهر من مطالعة الصفات ، والنظر في الآيات ، والارتياض بالمقامات . والدرجة الثالثة : محبة خاطفة تقطع العبارة ، وتدقق الإشارة ، ولا تنتهي بالنعوت ، وهذه المحبة هي قطب هذا الشأن ، وما دونها محاب تنادي عليها الألسن ، وادعتها الخليقة ، وأوجبتها العقول .

باب الغيرة

قال الله تعالى ، حاكيا عن سليمان عليه الصلاة والسلام : (ردوها عليّ فطفق مسحا بالسوق والأعناق) الغيرة : سقوط الاحتمال ضنا ، والضيق عن الصبر نفاسة . وهي على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : غيرة العابد على ضائع يسترد ضياعه ، ويستدرك فواته ، ويتدارك قواه . الدرجة الثانية : غيرة المريد على وقت فات ، وهي غيرة قتالة ، فإن الوقت وحي التقضي(١) ،

(١) قوله : وحي التقضي : أي سريع التقضي ، مأخوذ من قولهم : الوحا الوحا ، أي السرعة السرعة .

أبي الجانب ، بطيء الرجوع . الدرجة الثالثة غيرة العارف على عين غطاها غين ، وسر غشيه رين ، ونفس علق برجاء أو التفت إلى عطاء .

باب الشوق

قال الله تعالى : (من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت) الشوق هبوب القلب إلى غائب . وفي مذهب هذه الطائفة ، الشوق علة عظيمة ، فإن الشوق إنما يكون إلى الغائب ، ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة . ولهذه العلة لم ينطق القرآن الكريم باسمه ، ثم هو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : شوق العابد إلى الجنة ، ليأمن الخائف ، ويفرح الحزين ، ويظفر الآمل . الدرجة الثانية : شوق إلى الله تعالى ؛ زرعه الحب الذي نبت على حافات المنن ؛ فعلق قلبه بصفاته المقدسة واشتاق إلى معاينة لطائف كرمه ، وآيات بره ، وأعلام فضله ، وهذا شوق تغشاه المبار ، وتخالجه المسار ، ويقاومه الاصطبار . الدرجة الثالثة : نار أضرمها صفو المحبة ، فنغصت العيش وسلبت السلوة ، ولم ينهنهها مقرّ دون اللقاء .

باب القلق

قال الله تعالى ، حاكيا عن كليمه : (وعجلت إليك رب لترضى) القلق تحريك الشوق بإسقاط الصبر ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : قلق يضيق الخلق ، ويبغض الخلق ، ويلذذ الموت . والدرجة الثانية : قلق يغالب العقل ، ويخلي السمع ، ويطاول الطاقة . والدرجة الثالثة . قلق لا يرحم أبدا ، ولا يقبل أمدا ، ولا يبقي أحدا .

باب العطش

قال الله تعالى حاكيا عن خليله : (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي) العطش : كناية عن غلبة ولوع بمأمول ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : عطش المريد إلى شاهد يرويه ، أو إشارة تشفيه ، أو عطفة تؤويه . الدرجة الثانية : عطش السالك إلى أجل يطويه ، ويوم يريه ما يغنيه ، ومنزل

يستريح فيه . الدرجة الثالثة : عطش المحب إلى خلوة ما دونها سحاب ، ولا يغطيها حجاب تفرقة ، ولا يعرّج دونها على انتظار .

باب الوجد

قال الله تعالى : (وربطنا على قلوبهم إذ قاموا) الوجد : لهب يتأجج من شهود عارض مقلق ؛ وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : وجد عارض يستفيق له شاهد السمع أو شاهد البصر أو شاهد الفكر ، أبقى على صاحبه أثراً أو لم يبق . الدرجة الثانية : وجد تستفيق له الروح بلمع نور أزلي ، أو سماع نداء أولي ، أو جذب حقيقي إن أبقى على صاحبه لباسه ، وإلا أبقى عليه نوره . الدرجة الثالثة : وجد يخطف العبد من يد الكونين ، ويمحص معناه من درن الحظ ، ويسلبه من رق الماء والطين ، إن سلبه أنساه اسمه ، وإن لم يسلبه أعاد رسمه :

باب الدهش

قال الله تعالى : (فلما رأينه أكبرنه) الدهش : بهتة تأخذ العبد ، إذا فاجأه ما يغلب عقله أو صبره أو علمه ؛ وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : دهشة المريد عند صولة الحال على علمه ، والوجد على طاقته ، والكشف على همته : الدرجة الثانية : دهشة السالك عند صولة الجمع على رسمه ، والسبق على وقته ، والمشاهدة على روحه : الدرجة الثالثة : دهشة المحبة ، عند صولة الاتصال على لطف العطية ، وصولة نور القرب على نور العطف ، وصولة شوق العيان على شوق الخبر :

باب الهيمان

قال الله تعالى : (وخر موسى صعقاً) الهيمان : ذهاب عن التمالك تعجباً أو حيرة ، وهو أثبت دواماً وأملك للنعت من الدهش ، وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : هيمان في شيم أوائل برق اللطف عند قصد الطريق ، مع ملاحظة العبد خسة قدره ، وسفالة منزلته ، وتفاهة قيمته . الدرجة الثانية : هيمان في تلاطم أمواج التحقيق ، عند ظهور براهينه وتواصل عجائبه ولياح أنواره . الدرجة

الثالثة : هيمان عند الوقوع في عين القدم ، ومعاينة سلطان الأزل ، والغرق في بحر الكشف :

باب البرق

قال الله تعالى : (إذ رأى ناراً) البرق : باكورة تلمع للعبد فتدعوه إلى الدخول في هذا الطريق ، والفرق بينه وبين الوجد ، أن الوجد يقع بعد الدخول فيه والبرق قبله ، فالوجد زاد والبرق إذن ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : برق يلمع من جانب العدة في عين الرجاء ، يستكثر فيه العبد القليل من العطاء ، ويستقل فيه الكثير من الأعباء ، ويستحلي فيه مرارة القضاء . الدرجة الثانية : برق يلمع من جانب الوعيد في عين الحذر ، فيستقصر فيه العبد الطويل من الأمل ، ويزهد في الخلق على القرب ، ويرغب في تطهير السر . الدرجة الثالثة : برق يلمع من جانب اللطف في عين الافتقار ، فينشئ سحاب السرور ، ويمطر قطر الطرب ، ويجري نهر الافتخار :

باب الذوق

قال الله تعالى : (هذا ذكر) الذوق : أبقى من الوجد ، وأجلى من البرق ؛ وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : ذوق التصديق طعم العدة ، فلا يعقله ظن ، ولا يقطعه أمل ، ولا تعوقه أمنية . الدرجة الثانية : ذوق الإرادة طعم الأنس ، فلا يعلق به شاغل ولا يفسده عارض ولا تكدره تفرقة . الدرجة الثالثة : ذوق الانقطاع طعم الاتصال ، وذوق الهمة طعم الجمع ، وذوق المسامرة طعم العيان .

وأما قسم الولايات

فهي عشرة أبواب : وهي اللحظ . والوقت . والصفاء : والسرور . والسر . والنفس : والغربة . والغرق . والغيبة . والتمكن .

باب اللحظ

قال الله تعالى : (انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني) اللحظ : لمح مسترق ، وهو في هذا الباب على ثلاث درجات : الدرجة الأولى ، ملاحظة الفضل سبقاً ، وهي تقطع طريق السؤال إلا ما يستحقه الربوبية من إظهار التذلل

لها، وتثبت السرور إلا مايشوبه من حذر المكر، وتبعث على الشكر إلا ماقام به الحق تعالى من حق الصمدية. الدرجة الثانية: ملاحظة العبد نور الكشف. وهي تسبل لباس التولي، وتذيق طعم التجلي، وتعصم من عوار التسلي. والدرجة الثالثة: ملاحظة عين الجمع، وهي توقظ لاستهانة المجاهدات، وتخلص من رعونة المعارضات، وتفيد مطالعة البدايات.

باب الوقت

قال الله عز وجل: (ثم جئت على قدر ياموسى) الوقت: اسم لظرف الكون، وهو اسم في هذا الباب لثلاث معان. وهو على ثلاث درجات. الدرجة الأولى حين وجد صادق لإيناس ضياء فضل، جذبه صفاء رجاء. الدرجة الثانية: اسم لطريق سالك يسير بين تمكن وتلون. لكنه إلى التمكن ماهو يسلك الحال، ويلتفت إلى العلم فالعلم يشغله في حين، والحال تحمله في حين، فبلاؤه بينهما يذيقه شهودا طورا، ويكسوه عبرة طورا ويريه غيرة التفرق طورا. الدرجة الثالثة. قالوا الوقت الحق، أرادوا به استغراق رسم الوقت في وجود الحق، وهذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندي، لكنه هو اسم في هذا المعنى الثالث لحين تتلاشى فيه الرسوم كشفا لاوجودا محضا، وهو فوق البرق والوجد، وهو يشارف مقام الجمع لودام وبقي، ولا يبلغ وادي الوجود لكنه يكفي مؤنة المعاملة، ويصفي عين المسامرة، ويشم رائحة الوجود.

باب الصفاء

قال الله تعالى (وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) الصفاء: اسم للبراءة من الكدر، وهو في هذا الباب سقوط التلوين. وهو على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: صفاء علم، يهذب سلوك الطريق. ويبصر غاية الجد، ويصحح همة القاصد. الدرجة الثانية: صفاء حال، يشاهد به شواهد التحقيق، ويذاق به حلاوة المناجاة، وتنسى به الكون. والدرجة الثالثة صفاء اتصال، يدرج حظ العبودية في حق الربوبية، ويغرق نهايات الخبر في بدايات العيان، ويطوى خسة التكاليف في عين الأزل.

باب السرور

قال الله تعالى: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) السرور: اسم لاستبشار جامع، وهو أصفى من الفرح لأن الأفراح ربما شابتها الأحزان. ولذلك نزل القرآن باسمه في أفراح الدنيا في مواضع، وورد اسم السرور في موضعين في القرآن في حال الآخرة، وهو في هذا الباب على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: سرور ذوق، ذهب بثلاثة أحزان: حزن أورثه خوف الانقطاع، وحزن هاجته ظلمة الجهل، وحزن بعثته وحشة التفرق. الدرجة الثانية: سرور شهود، كشف حجاب العلم، وفك رق التكليف، ونفى صغار الاختيار. الدرجة الثالثة: سرور سماع الإجابة، وهو سرور يمحو آثار الوحشة، ويقرع باب المشاهدة، ويضحك الروح.

باب السر

قال الله تعالى: (الله أعلم بما في أنفسهم) أصحاب السر هم الأخفياء الذين ورد فيهم الخبر وهم على ثلاث طبقات: الطبقة الأولى: طائفة علت هممهم، وصفت قصودهم، وصح سلوكهم، ولم يوقف لهم على رسم، ولم ينسبوا إلى اسم، ولم تشر إليهم الأصابع. أولئك ذخائر الله حيث كانوا. الطبقة الثانية: طائفة أشاروا عن منزل وهم في غيره، وورّوا بأمر وهم لغيره، ونادوا على شأن وهم على غيره، بين غيرة عليهم تسترهم، وأدب فيهم يصونهم، وظرف يهذبهم. الطبقة الثالثة: طائفة أسرهم الحق عنهم، فألاح لهم لائحا أذهلهم عن إدراك ماهم فيه، وهيمهم عن شهود ماهم له، وضن بحالهم على علمهم بمعرفة ماهم فيه، فاستسروا عنهم مع شواهد تشهد لهم بصحة مقامهم، عن قصد صادق يهيجه غيب، وحب صادق يخفى عليهم مبدأ عينه، ووجد غريب لا ينكشف له موقده. وهذا من أرق مقامات أهل الولايات

باب النفس

قال الله تعالى : (فلما أفاق قال سبحانك) سمى النفس نفسا لترويح المتنفس به ، وهو على ثلاث درجات ، وهى تشابه درجات الوقت ، والأنفاس ثلاثة : النفس الأول : نفس فى حين استتار ، مملوء بالكظم معلق بالعلم ، إن تنفس تنفس بالأسف ، أو نطق نطق بالحزن ، وعندى أنه يتولد من وحشة الاستتار ، وهى الصدمة التى قالوا إنها مقام . والنفس الثانى : نفس فى حين التجلى ، وهو نفس شاخص عن مقام السرور إلى روح المعاينة ، مملوء من نور الوجود ، شاخص إلى مقام السر ، وذلك روح منقطع الإشارة . النفس الثالث : نفس مطهر بماء القدس ، قائم بإشارات الأزل ، وهو النفس الذى يسمى صدق النور ؛ فالنفس الأول للمريد سراج ، والنفس الثانى للقاصد معراج ، والنفس الثالث للمحقق تاج .

باب الغربة

قال الله تعالى : (فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم) الغربة : اسم يشار به إلى الانفراد عن الأكفاء . وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : الغربة عن الأوطان ، وهذا الغريب موته شهادة ، ويقاس له فى قبره من مدفنه إلى وطنه ، ويجمع يوم القيامة إلى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام . الدرجة الثانية : غربة الحال ، وهذا من الغرباء الذين طوبى لهم ، وهذا رجل صالح فى زمان فاسد بين قوم فاسدين ، أو عالم بين قوم جاهلين ، أو صديق بين قوم منافقين . الدرجة الثالثة : غربة الهمة ، وهى غربة طلب الحق تعالى ، وهى غربة العارف ، لأن العارف فى شاهده غريب ، ومصحوبه من شاهده غريب ، وموجوده فيما يحمله علم أو يظهره وجد أو يقوم به رسم أو يطيقه إشارة أو يشمله اسم غريب ، فغربة العارف غربة الغربة ، لأنه غريب الدنيا وغريب الآخرة .

باب الغرق

قال الله تعالى : (فلما أسلما وتله للجبين) هذا اسم يشار به فى هذا الباب إلى من توسط المقام وجاوز حد التفرق ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : استغراق العلم فى عين الحال ، وهذا رجل قد ظفر بالاستقامة ، وتحقق فى الإشارة ، فاستحق صحة النسبة . الدرجة الثانية : استغراق الإشارة فى الكشف ، وهذا رجل ينطق عن موجوده ، ويسير مع شهوده ، ولا يحس برعونة نفسه . الدرجة الثالثة : استغراق الشواهد فى الجمع ، وهذا رجل شملته أنوار الأولية ، ففتح عينه فى مطالعة الأزلية ، فتخلص من الهمم الدنية .

باب الغيبة

قال الله تعالى : (وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف) الغيبة التى يشار إليها فى هذا الباب على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : غيبة المريد فى تخلص القصد عن أيدى العلائق ، ودرك العوائق لالتماس الحقائق . الدرجة الثانية : غيبة السالك عن رسوم العلم ، وعلل السعى ، ورخص الفتور . الدرجة الثالثة : غيبة العارف عن عيون الأحوال والشواهد ، والدرجات فى عين الجمع .

باب التمكن

قال الله تعالى : (ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) التمكن فوق الطمأنينة ، وهو إشارة إلى غاية الاستقرار ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : تمكن المريد ، وهو أن يجتمع له صحة قصد تسيره ، ولمع شهود يحمله ، وسعة طريق تروحه . الدرجة الثانية : تمكن السالك ، وهو أن يجتمع له صحة انقطاع ، وبرق كشف ، وصفاء حال . الدرجة الثالثة : تمكن العارف ، وهو أن يحصل فى الحضرة ، فوق حجب الطلب لابسا نور الوجود .

وأما قسم الحقائق

فهو عشرة أبواب : وهى المكاشفة . والمشاهدة . والمعاينة . والحياة . والقبض . والبسط . والسكر . والصحو . والاتصال . والانفصال :

باب المكاشفة

قال الله تعالى : (فأوحى إلى عبده ما أوحى) المكاشفة : مهاداة السر بين متباطنين ، وهى فى هذا الباب بلوغ ما وراء الحجاب وجودا ، وهى على ثلاث درجات : الدرجة الأولى : مكاشفة تدل على التحقيق الصحيح ، وهى أن تكون مستديمة ، فإذا كانت حينا دون حين لم يعارضها تفرق ، غير أن الغين(1) ربما شاب مقامه ، على أنه قد بلغ مبلغا لا يلفته قاطع ، ولا يلويه سبب ، ولا يلفته حد . وهى درجة القصد ، فإذا استدامت فهى الدرجة الثانية . وأما الدرجة الثالثة فمكاشفة عين لا مكاشفة علم ولا مكاشفة حال ، وهى مكاشفة لا تذر سمة تشير إلى التذاذ أو تلجىء إلى توقف أو توقف على رسم ، وغاية هذه المكاشفة المشاهدة .

باب المشاهدة

قال الله تعالى : (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) المشاهدة سقوط الحجاب بتا ، وهى فوق المكاشفة . لأن المكاشفة ولاية النعت ، وفيها شىء من بقايا الرسم ، والمشاهدة : ولاية العين أو الذات ، وهى على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : مشاهدة معرفة : تجرى فوق حدود العلم فى لوائح نور الوجود ، منيخة بفناء الجمع . الدرجة الثانية : مشاهدة معاينة ، تقطع حبال الشواهد ، وتلبس نعوت القدس ، وتخرس ألسنة الإشارات ،

(1) فى هامش الأصل ما نصه . يعنى أن نفس المكاشفة إيماء خلط مقامه بالأينونة فاطراه .

الدرجة الثالثة : مشاهدة جمع ، تجذب إلى عين الجمع ، مالكة لصحة الوارد ، راكبة بحر الوجود

باب المعاينة

قال الله تعالى : (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) المعاينة ثلاث ، إحداها : معاينة الأبصار . والثانية : معاينة عين القلب ، وهى معرفة الشىء على نعته علما يقطع الريبة ، ولا يشوبه حيرة ، وهذه معاينة بشواهد العلم . والثالثة : معاينة عين الروح ، وهى التى تعاين الحق عيانا محضا . والأرواح إنما طهرت وأكرمت بالبقاء لتعاين سناء الحضرة ، وتشاهد بهاء العزة ، وتجذب القلوب إلى فناء الحضرة .

باب الحياة

قال الله تعالى : (أو من كان ميتا فأحييناه) اسم الحياة فى هذا الباب ، يشار به إلى ثلاثة أشياء . الحياة الأولى : حياة العلم من موت الجهل ، ولها ثلاثة أنفاس : نفس الخوف ، ونفس الرجاء ، ونفس المحبة . والحياة الثانية : حياة الجمع من موت التفرقة ، ولها ثلاثة أنفاس : نفس الاضطرار ، ونفس الافتقار ونفس الافتخار . والحياة الثالثة : حياة الوجود ، وهى حياة بالحق . ولها ثلاثة أنفاس : نفس الهيبة وهو يميت الاعتلال ، ونفس الوجود وهو يمنع الانفصال ، ونفس الانفراد وهو يورث الاتصال ، وليس وراء ذلك ملحظ للنظارة ولا طاقة للإشارة :

باب القبض

قال الله تعالى : (ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا) القبض فى هذا الباب اسم يشار به إلى مقام الضنائن ، الذين ادخرهم الحق عز وجل اصطناعا لنفسه ، وهم ثلاث فرق . فرقة قبضهم الحق إليه قبض التوفى ، فأخفاهم عن أعين العالمين . وفرقة قبضهم بسترهم فى لباس التلبيس ، وأسبل عليهم أكنة الرسوم ، فأخفاهم عن عيون العالمين . وفرقة : قبضهم منهم إليه ، فصافاهم مصافاة سر ، فضن بهم عليهم .

باب البسط

قال الله تعالى : (يذرؤكم فيه) البسط : أن يرسل شواهد العبد في مدارج العلم ، ويسبل على باطنه رداء الاختصاص ، وهم أهل التلبيس . وإنما بسطوا في ميدان البسط لأحد ثلاثة معان ، لكل معنى طائفة . طائفة بسطت رحمة للخلق يباسطونهم ويؤانسونهم فيستضيئون بنورهم ، والحقائق مجموعة والسرائر مصونة ، وطائفة بسطت لقوة معانيهم وتصميم مناظرهم ، لأنهم طائفة لا تخالج الشواهد مشهودهم ولا تضرب رياح الرسوم موجودهم ، فهم منبسطون في قبضة القبض ، وطائفة بسطت أعلاما على الطريق دائمة للهدى ، ومصابيح للسالكين .

باب السكر

قال الله تعالى حاكيا عن كليمه : (قال رب أرني أنظر إليك) السكر في هذا الباب : اسم يشار به إلى سقوط التمالك في الطرب ، وهذا من مقامات المحبين خاصة . فإن عيون الفناء لا تقبله . ومنازل العلم لا تبلغه . وللسكر ثلاث علامات الضيق عن الاشتغال بالخبر والتعظيم قائم ، واقتحام لجة الشوق والتمكن دائم ، والغرق في بحر السرور والصبر هائم ، وماسوى هذا فحيرة تنحل اسم السكر جهلا ، أو هيمان يسمى باسمه جورا ، وماسوى ذلك كله يناقض البصائر ، كسكر الحرص ، وسكر الجهل ، وسكر الشهوة .

باب الصحو

قال الله تعالى : (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق) الصحو : فوق السكر ، وهو يناسب مقام البسط ، والصحو مقام صاعد عن الانتظار مغن عن الطلب طاهر من الحرج . فإن السكر إنما هو في الحق . والصحو إنما هو بالحق ، وكل ما كان في عين الحق لم يخل عن حيرة ، لا حيرة الشبهة بل حيرة في مشاهدة أنوار العزة . وما كان بالحق لم يخل من صحة ، ولم يخف عليه من نقيصة ولم تتعاوره علة . والصحو من منازل الحياة وأودية الجمع ولوائح الوجود .

باب الاتصال

قال الله تعالى (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) أيأس العقول ، وقطع البحث بقوله أو أدنى . الاتصال ثلاث درجات . الدرجة الأولى : اتصال الاعتصام ، ثم اتصال الشهود ، ثم اتصال الوجود : فاتصال الاعتصام : تصحيح القصد ، ثم تصفية الإرادة ، ثم تحقيق الحال . والدرجة الثانية : اتصال الشهود وهو الخلاص من الاعتلال ، والغنى عن الاستدلال ، وسقوط شتات الأسرار . والدرجة الثالثة : اتصال الوجود ، وهذا الاتصال لا يدرك منه نعت ولا مقدار ، إلا اسم معار ولمح إليه مشار .

باب الانفصال

قال الله تعالى (ويحذركم الله نفسه) ليس من المقامات شيء فيه من التفاوت ما في الانفصال ، ووجوهه ثلاثة . الأول : انفصال هو شرط الاتصال ، وهو الانفصال عن الكونين بانفصال نظرك إليهما ، وانفصال توقفك عليهما ، وانفصال التفاتك إليهما . والثاني : الانفصال عن رؤية الانفصال الذي ذكرنا . وهو أن لا يتراءى لك في شهود تحقيق شيء ، ولا يبدو لك الاتصال منه بشيء . والثالث : انفصال عن الاتصال . وهو انفصال عن شهود مزاحمة الاتصال عين السبق . فإن الانفصال والاتصال على عظم تفاوتهما في الاسم والرسم في العلة سيان .

وأما قسم النهايات

فهو عشرة أبواب : وهي المعرفة ، والفناء ، والبقاء ، والتحقيق ، والتلبيس والوجود ، والتجريد ، والتفريد ، والجمع ، والتوحيد .

باب المعرفة

قال الله تعالى (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) المعرفة : إحاطة بعين الشيء كما هو . وهي على ثلاث درجات ، والخلق فيها على ثلاث فرق . الدرجة الأولى : معرفة الصفات

والنعوت ، وقد وردت أساميها بالرسالة وظهرت شواهدها فى الصيغة ، بتبصير النور القائم فى السر ، وطيب حياة العقل بزرع الفكر ، وحُياة القلب بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاعتبار ، وهى معرفة العامة التى لاتنعقد شرائط اليقين إلا بها وهى على ثلاثة أركان أحدها : إثبات الصفة باسمها من غير تشبيه ، ونفى التشبيه عنها من غير تعطيل والإياس من إدراك كنهها وابتغاء تأويلها . والدرجة الثانية : معرفة الذات مع إسقاط التفريق بين الصفات والذات ، وهى تثبت بعلم الجمع وتصفو فى ميدان الفناء ، وتستكمل بعلم البقاء ، وتشارف بعين الجمع . وهى ثلاثة أركان : إرسال الصفات على الشواهد ، وإرسال الوسائط على المدارج ، وإرسال العبارات على المعالم وهى معرفة الخاصة التى تؤنس من أفق الحقيقة . والدرجة الثالثة : معرفة مستغرقة فى محض التعريف لايوصل إليها الاستدلال ، ولا يدل عليها شاهد ، ولا تستحقها وسيلة ، وهى على ثلاثة أركان : مشاهدة القلوب ، والصعود عن العلم ، ومطالعة الجمع ، وهى معرفة خاصة الخاصة .

باب الفناء

قال الله تعالى : (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذى الجلال والإكرام) الفناء فى هذا الباب : اضمحلال ما دون الحق علما ، ثم جحدا ، ثم حقا ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : فناء المعرفة فى المعروف وهو الفناء علما ، وفناء العيان فى المعاين وهو الفناء جحدا وفناء الطلب فى الوجود وهو الفناء حقا . والدرجة الثانية : فناء شهود الطلب لإسقاطه ، وفناء شهود المعرفة لإسقاطها ، وفناء شهود العيان لإسقاطه . والدرجة الثالثة : الفناء عن شهود الفناء ، وهو الفناء حقا ، شائما برق العين ، راكبا بحر الجمع ، سالكا سبيل البقاء .

باب البقاء

قال الله تعالى : (والله خير وأبقى) البقاء : اسم لما بقى قائما بعد فناء الشواهد وسقوطها ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عينا لا علما . والدرجة الثانية : بقاء المشهود بعد سقوط الشهود ، وجودا لانعتا . والدرجة الثالثة : بقاء من لم يزل حقا ، بإسقاط من لم يكن محوا .

باب التحقيق

قال الله تعالى : (أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) التحقيق : تلخيص مصحوبك من الحق ، ثم بالحق ، ثم فى الحق ، وهذا أسماء درجات ثلاث . أما الدرجة الأولى : تلخيص مصحوبك من الحق ، وأن لا يخالج علمك علمه . وأما الدرجة الثانية فأن لاينازع شهودك شهوده . وأما الدرجة الثالثة فأن لايناسم رسمك سبقه ، فتسقط الشهادات ، وتبطل العبارات ، وتفنى الإشارات .

باب التلبيس

قال الله تعالى : (وللبسنا عليهم ما يلبسون) التلبيس : تورية بشاهد معار عن موجود قائم ، وهو اسم لثلاثة معان . أولها : تلبيس الحق بالكون على أهل التفرقة ، وهو تعليقه الكوائن بالأسباب والأماكن والأحايين وتعليقه المعارف بالوسائط ، والقضايا بالحجج ، والأحكام بالعلل والانتقام بالجنايات ، والمثوبة بالطاعات . وأخفى الرضا والسخط اللذين يوجبان الوصل والفصل ، ويظهران السعادة والشقاوة . والتلبيس الثانى : تلبيس أهل الغيرة على الأوقات بإخفائها وعلى الكرامات بكتمانها ، والتلبيس بالمكاسب والأسباب والتعلق الظاهر بالشواهد والمكاسب ، تلبيسا على العيون الكليلة والعقول العليلة مع تصحيح التحقيق عقدا وسلوكا ومعاينة ، وهذه الطائفة رحمة من الله تعالى على أهل التفرقة والأسباب فى ملابستهم . والتلبيس الثالث : تلبيس أهل التمكين على العالم ترحما عليهم بملابسة الأسباب توسعا على العالم لا لأنفسهم ، وهذه درجة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ثم الأئمة الربانيين الصادرين عن وادى الجمع ، المشيرين عن عينه .

باب الوجود

قد أطلق الله عز وجل فى القرآن الكريم اسم الوجود على نفسه فى مواضع ، فقال : (يجد الله غفورا رحيما — ووجد الله عنده — لوجدوا الله توابا رحيما) الوجود : اسم للظفر بحقيقة الشئ ، وهو اسم لثلاثة معان . الأول : وجود علم

لدنى ، يقطع علوم الشواهد فى صحة مكاشفة الحق إياك . الثانى : وجود الحق وجود عين ، منقطعا عن مساغ الإشارة . الثالث : وجود مقام اضمحلال رسم الوجود فيه بالاستغراق فى الأزلية .

باب التجريد

قال الله تعالى : (فاخلع نعليك) التجريد : انخلاع عن شهود الشواهد ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : تجريد عين الكشف عن كسب اليقين . الدرجة الثانية : تجريد عين الجمع عن درك العلم . الدرجة الثالثة : تجريد الخلاص عن شهود التجريد .

باب التفريد

قال الله تعالى : (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) التفريد : اسم لتخليص الإشارة إلى الحق ، ثم بالحق ثم عن الحق . أما تفريد الإشارة إلى الحق فعلى ثلاث درجات : تفريد القصد عطشا ، ثم تفريد المحبة قلقا ، ثم تفريد الشهود اتصالا . وأما تفريد الإشارة بالحق فعلى ثلاث درجات : تفريد الإشارة بالافتخار بوحا ، وتفريد الإشارة بالسلوك مطالعة ، وتفريد الإشارة بالقبض غيرة . وأما تفريد الإشارة عن الحق : فانبساط ببسط ظاهر ، يتضمن قبضا خالصا للهداية إلى الحق والدعوة إليه .

باب الجمع

قال الله تعالى : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) الجمع : ما أسقط التفرقة وقطع الإشارة ، وشخص عن الماء والطين بعد صحة التمكين والبراءة من التلوين ، والخلاص من شهود الثنوية ، والتناق من إحساس الاعتلال والتناق من شهود شهودها . وهو على ثلاث درجات : جمع علم ، ثم جمع وجود ، ثم جمع عين . فأما جمع العلم : فهو تلاشى علوم الشواهد فى العلم اللدنى صرفا . وأما جمع الوجود : فهو تلاشى نهاية الاتصال فى عين الوجود محقا . وأما جمع العين : فهو تلاشى كل ماتقله الإشارة فى ذات الحق حقا ، والجمع غاية مقامات السالكين وهو طرف بحر التوحيد .

باب التوحيد

قال الله عز وجل : (شهد الله أنه لا إله إلا هو) التوحيد : تنزيه الله تعالى عن الحدث ، وإنما نطق العلماء بما نطقوا به ، وأشار المحققون بما أشاروا إليه ، فى هذا الطريق ، لقصد تصحيح التوحيد : والتوحيد على ثلاثة أوجه . الوجه الأول : توحيد العامة ، وهو الذى يصح بالشواهد . والوجه الثانى : توحيد الخاصة ، وهو الذى يثبت بالحقائق : والوجه الثالث ، توحيد قائم بالقدم ، وهو توحيد خاصة الخاصة . فأما التوحيد الأول : فهو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، هذا هو التوحيد الظاهر الجلى الذى نفى الشرك الأعظم ، وعليه نصبت القبلة ، وبه وجبت الذمة وبه حقنت الدماء والأموال ، وانفصلت دار الإسلام عن دار الكفر ، وصحت به الملة من العامة وإن لم يقوموا بحق الاستدلال بعد أن سلموا من الشبهة والحيرة والريبة ، بصدق شهادة صححها قبول القلب . هذا توحيد العامة الذى يصح بالشواهد والشواهد هى الرسالة ، والصنائع تجب بالسمع ، وتوجد بتبصير الحق تعالى ، وتنمو على مشاهدة الشواهد . وأما التوحيد الثانى الذى يثبت بالحقائق : فهو توحيد الخاصة . وهو إسقاط الأسباب الظاهرة ، والصعود عن منازعات العقول وعن التعلق بالشواهد ، وهو أن لا يشهد فى التوحيد دليلا ، ولا فى التوكل سببا ، ولا فى النجاة وسيلة ، فيكون مشاهدا سبق الحق تعالى بحكمه وعلمه ووضعه الأشياء مواضعها ، وتعليقه إياها بأحايينها وإخفائه إياها فى رسومها ، ويحقق معرفة العلل ويسلك سبيل إسقاط الحدث . هذا توحيد الخاصة الذى يصح بعلم الفناء ويصفو فى علم الجمع ، ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع . وأما التوحيد الثالث : فهو توحيد اختصه الحق تعالى لنفسه واستحقه لقدره ، وألاح منه لائحا إلى أسرار طائفة من صفوته وأخرسهم عن نعته وأعجزهم عن بثه ، والذى يشار به إليه على ألسن المشيرين أنه إسقاط الحدث وإثبات القدم ، على أن هذا الرمز فى ذلك التوحيد علة لا يصح ذلك التوحيد إلا بإسقاطها ، هذا قطب الإشارة إليه

على ألسن علماء هذا الطريق ، وإن زخرفوا له نعوتا وفصلوه فصولا ، فإن ذلك التوحيد تزيده العبارة خفاء ، والصفة نفورا ، والبسط صعوبة ، وإلى هذا التوحيد شخص أهل الرياضات وأرباب الأحوال والمقامات ، وإليه قصد أهل التعظيم ، وإياه عنى المتكلمون فى عين الجمع ، وعليه تصطلم الإشارات ثم لم ينطق عنه لسان ولم تشر إليه عبارة ، فإن التوحيد وراء مايشير إليه مكون أو يتعاطاه حيز أو يقله سبب ، وقد أجبت فى سالف الزمان سائلا سألنى عن توحيد الصوفية بهذه القوافى الثلاث نظما :

ما وحد الواحد من واحد　　إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته　　عبارة أبطلها الواحـــد
توحيده إياه توحيـده　　ونعت من ينعته لاحد

والله سبحانه وتعالى أعلم .

بحمد الله تعالى قد تم طبع كتاب :

منازل السائرين إلى الحق عز شأنه

مصححا بمعرفة لجنة التصحيح :
بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده

القاهرة فى { ٢٧ جماد ثان سنة ١٣٨٦ هـ
١٢ أكتوبر سنة ١٩٦٦ م }

فهرس كتاب منازل السائرين